الأسبوع الثاني / ما هي موضوعات علـم الجمال

كثيرا ما يقال إن موضوع علم الجمال صورة من الصور الرئيسية للمثل العليا وان البشر تصنع من إدراكها تعبيرا عن هذه المثل بالجمال . وهذا القول يكون مقبولا إذا كان المقصود بكلمة المثال الأعلى هو الاواقع أو صفة الخيال والإيهام التي تشارك فيها الألعاب مع الأعمال الفنية ، ولكن إذا فهمنا من القول السابق إن المثل العليا هو تعديل أو تحوير للواقع بقصد تحسين هذا الواقع لكان من نتيجة فهمنا هذا استبعاد للواقعية لمصلحة المثالية ، والواقعية كما نعرف تمثل صورة واتجاها من صور الفن واتجاهاته ، فهو فهم للجميل وله ما يبرره ، إذ إ ن علم الجمال يقبل وجود كل المدارس وان يفهمها دون أن يفرق بين الواقعية والمثالية ، بين الكلاسيكية والرومانسية ، وتظهر هنا موضوعتين أساسيتين للجمال :

١. الاستاطيقيا الموضوعية: وهي فرضية تقول إن الجمال لكائن ما أو جمال أي عمل فني إنما ينبع من صفات خاصة بهذا الكائن أو العمل . وهذه الصفات تصل من الخارج إلى عقل المتأمل بطريقة قريبة من التأثير، فالتأمل ليس هو الذي يصنع هذه الصفات بل لو حدث أن تدخل هو ليعدلها فأن تعديلها لن يكون إلا تشويها مثاله سمات الجمال المطلق عن (أفلاطون) فالجمال بالخير يوجد قبل الوجود البشري فهو في عالم المثل فوق سمات الحس الإنساني .
٢. الاستاطيقيا الذاتية : هو الجمال الذي لا يوجد إلا (فينا وبنا ومن اجلنا)، إن الجمال أو القبح في الأشياء أو الأشخاص لا يرجع إلى طريقة وضعها خارجا عنا ، بل يرجع إلى الطريقة التي نتصورها بها في فكرنا . فهي ليست قبيحة وليست جميلة في ذاتها ، بل هي ما هي ، وكل صفة هي خارجة عن جوهرنا فنحن الذي نضيفها عليه ومثال ذلك (ان غروب الشمس يثير في نفس الريفي فكرة على جانب قليل من الجمال هي

فكرة العشاء مثلا، ويثير في نفس عالم الطبيعة فكرة التحليل الطيفي) وهذا الشيء ليس من الجمال أو القبح في شيء ، بل هو شيء يمكن فقط أن يكون صحيحا أو غير صحيح ، ان غروب الشمس ليس جميلا إلا من نظر إليه بهذه الصفة وليس حزينا مؤلما وقبيحا الا من حس بهذه الصفة في نفس اللحظة .

وتظهر في علم الجمال اتجاهين لوجهات النظر الاستاطيقيا هي :

١. الاتجاه الميتافيزيقي : وهو اتجاه يستند إلى أفكار تأملية مسبقة متعالية عن التجربة الحسية في تفسيرهم للجمال الموضوعي ، هذا الجمال الذي ينبث في وحدات الجمال المحسوس ، أي أنهم يجعلون الجمال مصدرا يعلو على الواقع الحسي ويتجاوزه.

٢. الاتجاه التجريبي : وهو دراسة الظواهر الج مالية بشكل (وضعي- علمي) باستخدام الاستقراء في الكشف عن الجمال الموضوعي بادئا من الواقع المحسوس لكي يتوصل إلى حقائق ووحدات إحساسات ذلك الواقع ، وقد ارتبط هذا الاتجاه من علم الجمال بالعلوم البيولوجية والاجتماعية والنفسية وأيضا يصل إلى علوم التأريخ والمنطق ، فالبيئية والزمن والسلوك محاور أساسية في صياغة ذلك البعد الجمالي للاتجاه التجريبي.

وتعتمد دراسة موضوعات علم الجمال على قيم (التذوق الجمالي للفن) و (الخبرة الجمالية) وتأتي هذه القيم من خلال الخبرة المسبقة للفنان والخبرة المسبقة للمتلقي في وجود المنجز الفني. وتصنف قيم التذوق على :

أ. الدراسات النفسية في ما يسمى ب (سايكلوجية التذوق الفني): وهي أبعاد تختصر اتجاهات التعبير والتأثير والمتأثر في النظريات النفسية والقيم النفسية والجوانب النفسية في إنتاج الفعل وفي استقبال تلك الأفعال .

ب. الدراسات الاجتماعية : وهي تتركز في الأبعاد السلوكية والنظم الحياتية والطبقية والمنطقية في تحديد أشكال السلوك الفني وأبعاده في المنجز وبين التربية الفنية

للإنسان بمراحله المختلفة في استقبال تلك النظم الجمالية المعتمدة على علوم الاجتماع .

ولهذا يعرف التذوق الفني (هو احد محددات السلوك الجمالي الذي يكتسب المعرفة عن طريق الإدراك والتخيل ، وتنمية هذا السلوك تجاه البيئة ويأتي بتنمية التذوق الجمالي)

والتذوق الجمالي (هو موقف وانتباه وتأمل منزه من الغرض ، أي بدون أي مرجعيات منفعية متبادلة) .

إن الجمال في الفنون يعني ذلك الجانب الذي يحتوي العمل الفني ويجعل منه فنا . والواقع إن هذا التحديد يدفعنا للتساؤل عن (لماذا يكون الفن فنا؟) أو بمعنى آخر ما الشيء الذي يجعلنا نطلق على عمل ما (عملا فنيا) وكيف يتميز الفن عن ضروب التعبير الأخرى؟

وللإجابة هي: إن البعد الجمالي للفن هو الذي يجعل منه فنا ، فالفن هو احد أهم الوسائل التعبيرية التي يعبر من خلالها الإنسان عن معنى ما يريد أن يحققه وفق مادة ما قابلة للتشكيل ، تلك المادة قد تكون كلمات أو ألوان أو آلات موسيقية ، وبالتالي فالتعبير واحد في الفن ولكن المادة مختلفة.

وللتفكير سمة أساسية ومهمة في تحديد الوصول إلى موضوعات الجمال وحقائقه ، فالتفكير هو الهبة العظمى للمثال الأعلى للإنسان وهي تنشطر بين مثيرات الحواس ومثيرات الذهن وكلاهما هو محرك النشاط الذي يجسد معنى التفكير وكما سيوضح في

المخطط التالي:

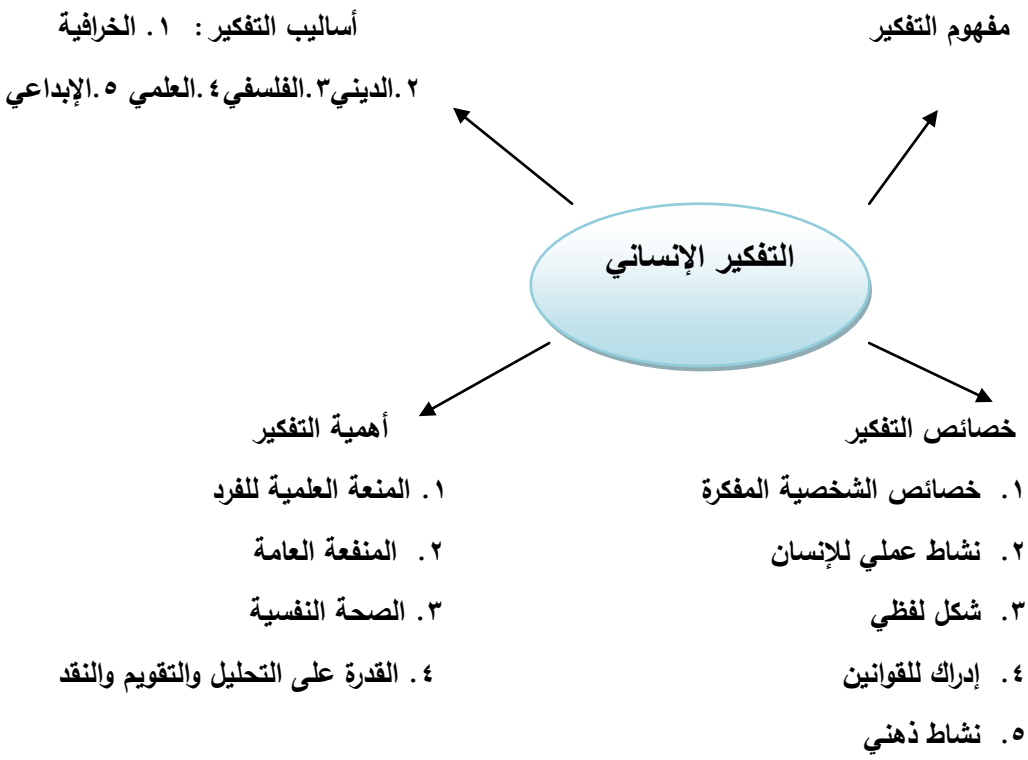

ويعرف التفكير بأنه (عملية ذهنية نرسم فيها خريطة العمل المؤدى التي تحقق هدف ما ، وتعد ابرز الحالات المواقف التي تثير النشاط العقلي للإنسان هي:

١. حل المشكلات ٢. تنظيم الخبرات ٣. التخطيط للمستقبل ٤. تذكر الخبرات

ومن أهم خصائص التفكير الإنساني:

أ. التفكير نشاط عقلي إنساني لا يعتمد على إحساس الفرد وإدراكه فقط بل على معلوماته وخبراته السابقة .

ب. التفكير إدراك للقوانين العامة للموجودات واستخدام ما تواف لديه من خبرة سابقة عن قوانين تعكس العلاقات والمبادئ العامة .

ويرتبط التفكير بالنشاط العلمي للإنسان وبطريقة اقتناء الألفاظ وأشكالها وترميزاتها ، وأيضا هو يرتبط بخصائص الشخصية وتأثير البيئة والمجتمع عليها.

وتصنف أساليب التفكير الجمالي للإنسان بـ:

١. الأسلوب الخرافي : وهو نمط من التفكير يستند فيه الإنسان إلى الظواهر الطبيعية مثل (الرعد والبرق – الزلازل – البراكين وغيرها) وعلى التخيل وقدراته في صناعة الأحداث من عوالم الخيال.

٢. الأسلوب الديني : وهو نمط يرتكز بالنظر للقدرات الإلهية في خلق الوجود وأدلتها في الحياة مثل (تتابع الليل والنهار – خلق الأرحام) وغيرها .

٣. الأسلوب الفلسفي: وهو نمط يرتكز على التأمل الحسي والعقلي وتأثيرات الأسباب والمسببات والعلل في اكتساب المعرفة واكتساب الخ برة ومن خلال لغة التعبير والتأويل والاستدلال والتعرف.

٤. الأسلوب العلمي: وهو اسلوب التفكير الذي يبحث في الوجود الحقيقي للأشياء واكتشاف العلة وغائيتها وحل المشكلات والتجارب وتحقيق النظريات .

٥. الأسلوب الجمالي: وهو نشاط يقتصر على الفن والفنان وهو التفكير المنظم لنشاط العقل في التعبير عن الحاجات الإنسانية العامة والخاصة وإيجاد لغة التعبير الإبداعية للتأثير وتقويم الحياة البشرية المعتادة وتفسير الحقائق الجوهرية وغموضها والارتقاء في الجوانب الدفينة في النظم البشرية إلى حقائقها الجمالية دون الذاتية بالطريقة الفنية.

مصادر المحاضرة 2. مبادئ علم الجمال (الاستاطيقيا) تأليف شارل لالو

٢. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة تأليف / محمد علي أبو ريان

٣. دراسات في علم الجمال المعاصر / تأليف رمضان بسطاويسي محمد

٤. الجمال / تأليف روجر سكروتون